الآداب العالمية: المفهوم والمصطلح

أوّلا- المفهوم

يحيل مصطلح الأدب العالمي إلى ذلك النتاج التعبيري الذي يشمل العالم بأسره، فهو ملك مشترك للإنسانية بأكملها، ومن ثم فهو يتجاوز الحدود الوطنية. وقد تناول الدارسون والمقارنون عالميا مصطلح الأدب العالمي ضمن ثلاثة مفاهيم رئيسية:

1- المفهوم الأوّل: يعد الأدب العالمي مجموع الأعمال الأدبية المتميّزة التي تنتمي إلى آداب قومية مختلفة، جاعلا من الجودة الفنية مقياسا لعالمية الأدب.

2- المفهوم الثاني: الأدب العالمي هو تلك الآثار الأدبية التي تمكنت من أن تتخطى حدودها اللغوية، والثقافية، والقومية، وأن تحظى بانتشار عالمي.

3- المفهوم الثالث: الأدب العالمي هو مجموع الآداب القومية الموجودة في العالم بصرف النظر عن المستويات الفنية والانتشار العالمي لأعمالها.

ثانيا- نشأة المفهوم وتطوره

1- عند الغربيّين: تتفق معظم الأبحاث والدراسات التي تناولت مصطلح الأدب العالمي أنه نشأ أوّل الأمر في ألمانيا، واستخدمه يوهان فولفغانغ غوته Johan Wolfgang Goethe عام 1827 في معرض محاضراته مع "إكرمان" وصاغه وبشر به في الأيام الأخيرة من حياته، أي منذ أواخر العشرينيات إلى أواسط الثلاثينات من القرن التاسع عشر. ففي رسائله وأحاديثه الشهيرة مع سكرتيره "أكرمان" رأى أن عصر الآداب القومية قد ولى، وأن عصر أدب جديد قد بدأ، ألا وهو عصر الأدب العالمي.

ويرجع سبب ظهور هذا المصطلح في ألمانيا إلى تطور الدراسات التاريخية في مجلات كثيرة وخاصة اهتمامهم بالتراث الشعبي، وكذلك تطور الدراسات اللغوية والتاريخية.

ولعلّ أهم نتيجة استخلصها "غوته" هي أنه على الأدباء أن يعوا حقائق العصر بالنسبة لإبداعاتهم الأدبية، فلا يكتب الأديب وفي ذهنه جمهوره المحلي وحسب، بل عليه أن يأخذ بالحسبان أن تلك الأعمال ستستقبل أيضا في العالم.

لم يؤخذ مفهوم "غوته " عن الأدب العالمي في ثلاثينات القرن التاسع عشر على محمل الجد من قبل معاصريه على الرغم مما كانوا يكنونه لهذا الأديب من الاحترام والتقدير. فلقد لقي أوّل الأمر اعتراضا ورفضا من جانب علماء الأدب المقارن، غير أن الاهتمام بهذا المفهوم ما لبث أن تجدّد منذ أواسط القرن العشرين على الصعيدين العلمي والثقافي.

وقد استفاد الزوار الفرنسيون من ذلك، ونقلوا هذا الهوس المعرفي إلى بلادهم، فكانت فرنسا مهيأة أكثر لاستقبال المفهوم الجديد، ومن بينهم نجد "مدام دي ستايل" الزائرة الفرنسية إلى ألمانيا، نقلت الفكرة من ألمانيا إلى فرنسا من خلال كتابها "عن ألمانيا" وطرحت قضايا جوهرية أهمها علاقة الأدب بالنظم الاجتماعية، وبيان تقدم العقل البشري على مرّ العصور، وقد نبهت الباحثين إلى ضرورة معرفة العلاقات بين الآداب العالمية وضرورة الانفتاح على الآداب العالمية المختلفة.

ومن بين من تعرض للمصطلح في فرنسا نجد "بول فان تييغم" الذي حدّد مفهوم الأدب العالمي من خلال ربطه بعالمية أوروبية محضة واقتصار هذا المصطلح على الدول الأوروبية فقط. وقد صاغ مفهومه هذا وفقا لرؤية تؤسس لمركزية أوروبية. وقد نبه "فان تييغم" المقارنين إلى إشكالية مفادها أن بعض الأدباء يلقون خارج بلادهم نجاحا، فرباعيات عمر الخيام مثلا لم تلق إقبالا في بلد مؤلفها ولكنها وجدت صدى في نفوس الانجليزيّين عندما ترجمها الشاعر الانجليزي فيتزجرالد إلى لغتهم، والأمر نفسه بالنسبة إلى "شكسبير" الذي لم يحظ بمكانة مميّزة في عصره وتعرف عليه القارئ الأوروبي بعد أن قدمه فولتير.

وإذا كان علماء القرن التاسع عشر والنصف الأوّل من هذا القرن ظلوا يحلمون بوحدة أدبية لأوروبا وحدها، فإن نهاية الاستعمار القديم قد أرغم المفكرين على إعادة النظر في مسلمات أدبية وعلمية كثيرة لأن استقلال الشعوب التي كانت مستعمرة ليست مجرد ظاهرة سياسية فحسب، بل

ظاهرة ثقافية أدبية، ومن ثم فسح المجال للإنسانية كلها، ومن ثم يدخل في نطاق الأدب العالمي الأعمال التي تجاوزت الحدود القومية واللغوية.

2- عند العرب: تبنى الدارسون العرب مصطلح الأدب العالمي انطلاقا من الطرح الغربي، من بينهم "محمد غنيمي هلال" في كتابه "الأدب المقارن"، ويتمثل موقفه من الأدب العالمي في اتجاهين اثنين:

1- رفض مفهوم الأدب العالمي: لقد بنى رفضه لمفهوم الأدب العالمي على أمرين هما: اعتقاده بأن الأدب العالمي الذي بشر به "غوته" ينفي وطنية الآداب، ويعني بصورة حرفية أن تزول الآداب القومية ليحل محلها في العالم أدب واحد، واعتقاده بوجود تناقض بين ما هو وطني وما هو عالمي...

2- احتفى بظاهرية عالمية الأدب: بقوله "عالمية الأدب تعني خروجه من نطاق اللغة التي كتب بها إلى أدب لغة أو لغات أخرى، إما للتأثير في الآداب الأخرى أو لنشدان ما يغني ويكمل ويساير الركب العالمي".

ومن المقارنين العرب الذين تصدوا لمسألة عالمية الأدب الدكتور "فؤاد المرعي" في البحث الذي قدمه عام 1986 إلى المؤتمر الثاني للرابطة العربية للأدب المقارن، وقد انطلق في بحثه على نظرية الأدب الماركسية كارتباط تطور الأدب بتطور المجتمع، فالأدب العالمي في نظره ليس مجموع الأعمال الرائعة بل "مجموع الآداب في العالم"، وقد انتقد صيغة المركزية الأوروبية التي أضفاها عيه المقارنون الأوروبيون. كما انتقدها أيضا الباحث المغربي "سعيد علوش"، واقترح العودة إلى المصطلح الذي نادى به غوته وهو الأدب العالمي الذي يربط الإنسانية جمعاء بعيدا عن مفهوم الأدب العالمي الذي يقتصر على الآداب الأوروبية. واستخدم "طه حسين" مصطلح الأدب الإنساني الذي يربط بين الأمم والأجيال وتحمله الترجمات إلى أجراء العالم المتحضر.

المراجع

1-عبده عبود: الأدب المقارن، مشكلات وآفاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999.

2-عائشة حمزة: نوافذ الأدب العالمي عند العرب، مجلة الآداب الأجنبية أنموذجا، إشراف: نظيرة الكنز، مذكرة ماجستير، نوقشت سنة 2012.

3- وجدان يحي محمداه: الأدب المقارن في سورية (اتجاهاته وقضاياه) إشراف راتب سكر، رسالة دكتوراه، نوقشت سنة 2011.

4- الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن، أصوله وتطوره ومناهجه، ط1، دار المعارف، 1987.

5- سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن – دراسة منهجية، ط1، المركز الثقافي العربي، 1987

يتكون مصطلح الأدب العالمي من كلمتين "الأدب" و"العالم". تعبّر الكلمة الأولى عن ذلك الفن الجميل الذي يتناول قضايا إنسانية مختلفة. وذهب البعض إلى أنه كلّ نص مطبوع أو ذلك الرصيد من النصوص العظيمة، أو هو المساهمة في الحياة الجمالية سواء بمحاكاة الواقع أو بخلق عالم خيالي.

أما الكلمة الثانية "العالم" فتدل على حيّز